نشأة الشعر الجاهلي:

الجاهلية الأولى أو العصر الجاهلي تعني تلك الفترة التي سبقت الإسلام ، ومنه أخذ الشعر المسمى نفسه .

والجاهلية لا تعني الجهل الذي هو عكس العلم ، بل يقصد بها السفه والغضب كما وضحها لنا الدكتور شوقي ضيف حيث قال : ‘ وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه ، إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب ‘ .

نشأة الشعر الجاهلي

إن تحديد زمن العصر الجاهلي عامة والشعر الجاهلي خاصة هو أمر غير معلوم ولم يصلنا منه أي تدقيق ، لكن ينسب عموما كما أشرنا إلى الفترة التي سبقت الإسلام وتقريبا 150 إلى 200 سنة هي المدة التي انبرى فيها الموروث الشعري الجاهلي الذي وصل إلينا ، وقبل ذلك كان مجهولا .

وفي ذلك يقول الجاحظ : ‘ أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة..فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ‘ .

منزلة الشعر الجاهلي

لقد تحدثنا في إحدى مواضيعنا أن الشعر كان ديوان العرب ومركز أخبارهم ومنبع فخرهم ، فالشاعر كان معظّما في قبيلته وتقدم له الهدايا والعطايا ، فهو لسانها المنافح عنها أمام القبائل ، وأبيات شعره يكون وقعها أشد من السيف على شرف المرء ومروءته .

لكن أن تكون شاعرا ليس بالأمر الهين فتلك ملكة تحتاج إلى نبوغ أشبه بقوة سحرية أو حتى شيطانية ، فلطالما اعتقد العرب في القديم أن الجن هي من تلقي على ألسنتهم الشعر وتختار الشخص المميز لذلك .

وكانت كل قبيلة تهنئ جارتها التي ينبغ فيها شاعر ، لأنه يمثل لسان التاريخ بأسره ، بل يعتبر نبي قبيلته وفي ذلك يقول المستشرق الألماني ثيودور نولدكه : ‘ كان الشاعر نبي قبيلته وزعيمها في السلم وبطلها في الحرب ، تطلب الرأي عنده في البحث عن مراع جديدة ، وبكلمته وحدها تضرب الخياو وتحلّ ‘ .

أغراض الشعر الجاهلي

نشأ الشعر الجاهلي متأثرا بطبيعة الشاعر الذي يحكي ما يعيشه في بيئته ومحيطه ، وبالتالي كانت أغراض الشعر الجاهلي تندرج ما بين :

– الوصف : كان الشاعر مرتبطا بأرضه وباديته فشكل ذلك مادة خصبة لأشعاره ، كذلك كان يترك العنان لخياله في وصف رحلاته وراحلته أو الوقوف على أطلال ذكرى له .

– المدح : كان الشاعر رمز قبيلته ولسانها وبالتالي سخّر هذا اللسان في مدح زعماء قبيلته وساداتها وفرسانها ، وتعدى ذلك لكل من كان يحمل صفات النبل والكرم والإباء .

– الرثاء : كان مديحا في حد ذاته لكن بطابع بكائي يعدد مثالب الميت ومكارمه ويدعو لأخذ الثأر للمقتول .

– الهجاء : إذا كانت الحروب تقوم على القوة والسيف فإن لسان الشاعر كان أشد منها وقعا لما له من أثر خالد لا يموت ، فالقبائل المتحاربة كانت تتقاتل لسانيا بشعرائها ، كل شاعر يسقي القبيلة العدو سما من الكلمات المخزية ، والمتمكن صاحب النفس الطويل هو من كان يصمد حتى ينتصر لقبيلته .

الفخر : كان الشاعر معتدا بنفسه وقبيلته حيث يرجع إلى أصوله الكريمة فيفخر بأجداده ويعتز بدمائه وشرفه .

الغزل : الحب والعشق شعور ضارب في القدم وعليه فإن الشاعر الجاهلي أحب وعشق فنسجت قريحته ديباجة تحوي أرق الأبيات وأجودها ، مع العلم أن الغزل كان عفيفا في بعض جوانبه وماجنا في البعض الآخر .

بالاضافة إلى هذه الأغراض المشهورة في الشعر الجاهلي فقد كان الشاعر يفخر بسهراته الماجنة التي تتغنى بالخمر ، وفي المقابل وعلى النقيض كان هنالك شعراء الزهد و الحكمة الذين يدعون إلى التفكر في الحياة وزوالها والتحلي بمكارم الأخلاق .

خصائص الشعر الجاهلي

تتخذ القصيدة في الشعر الجاهلي نمطا تقليديا ثابتا في الأوزان والقوافي ، يحترم الوحدة الموسيقية وينسج أبيات قصيدته على أمواج البحور الشعرية المعروفة ، ونجد أن القصائد الجاهلية كانت تتفق في ما يلي :

– تفتتح دائما بمقدمة طللية والبكاء على الديار .

– وصف رحلاتهم وراحلتهم والتغني بجمالية الطبيعة وقسوتها في آن واحد .

– الانتقال إلى الغرض الحقيقي الذي نظمت من أجله القصيدة كالمدح أو الفخر أو الرثاء ..الخ .

قيمة الشعر الجاهلي

لقد ترك لنا الشعر الجاهلي إرثا عظيما أثرى به الخزينة التاريخية للفكر والحضارة ، فكان راوية لأخبار الأمم والقبائل ، راصدا ومصورا طبيعة حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية ، فكان صلة وصل بين عهد غابر وعهد متجدد ومتطور